

حزب الله وبريطانيا: لماذا دقت ساعة الحوار؟

: خرج الجانبان بريطانيا وحزب الله عن صمتهمما وتحديثا عن حوار جرى الحديث عنه بينهما خلال العام الماضي، وهو الآن في طريقه ليتحول إلى حوار علني.

بريطانيا التي كانت قد أعلنت قبل حوالي عام اعتبار الجناح العسكري لحزب الله منظمة إرهابية، تريد الحديث إلى الجناح السياسي في الحزب، وهو الأمر الذي يبقي القرار البريطاني في دائرة العمل السياسي لفهم أكبر للحالة السياسية اللبنانية ومحاولة فهم المنطلقات السياسية التي ينطلق منها حزب الله في العمل مع إيران.

«موضة» الحديث مع الأعداء عادت لتأخذ أبعاداً مهمة في المنطقة بعد الحديث الذي جرى في دوائر أميركية وبريطانية وأوروبية عن ضرورة الحديث إلى اللاعبين من غير الدول مثل حماس وحزب الله إذا ما أرادت هذه الدول الوصول إلى صيغ سياسية تعزز من الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط. فالولايات المتحدة تطرح بقوة وبعد تولي الإدارة الجديدة بقيادة باراك أوباما مسألة الحوار مع إيران رغم كل الضجيج الإعلامي الذي تتناقله وسائل الإعلام، من جهة أخرى يجري الحديث عن ضرورة فتح الخطوط مع حماس، فمبعوث الرباعية رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بليز تحدث عن ذلك بعد سنوات من تجنبه، ثم تبعه مبعوث الإدارة الأميركية جورج ميتشل.

الفرنسيون من جانبهم يدفعون بهذا الاتجاه، حتى إن هناك معلومات شبه مؤكدة عن حصول لقاءات بين مبعوثين فرنسيين وآخرين من حماس.

ساعة الحوار التي دقت بين بريطانيا وحزب الله يمكن أن تفهم في إطار أربعة عناصر أساسية:

الأول: أن بريطانيا تأتي إلى هذه الحوار في ظل خبرة كبيرة تم الحصول عليها في العراق، فالوجود البريطاني في جنوب العراق وفي بيئة شيعية كاملة وفر للجانب السياسي والأمني في بريطانيا فهماً أكبر حول التعامل مع التيارات السياسية الشيعية، ليس فقط في العراق بل في المنطقة ككل، وقد أعلنت بريطانيا أكثر من مرة عن إلقاء القبض على مجموعات شيعية تعمل ضد بريطانيا كانت قد تلقت تدريبات على أيدي عناصر من حزب الله في لبنان. في هذا السياق تشعر بريطانيا، وبعد أن قررت الانسحاب من العراق بانتهاج هذا العام، بأن قدرتها على التفاوض مع حزب الله أفضل في ظل عدم وجود خطر على قواتها في العراق، وكذلك تطور قاعدة المعلومات لديها حول حزب الله.

الثاني: أن الحوار بين حزب الله ولندن ربما يكون مرتبطاً بتطورات الحوار بين واشنطن وطهران، ورفع الحظر عن التفاوض مع إيران والمنظمات السياسية التي ترتبط معها بعلاقات. بل سبق ذلك ما قامت به الولايات المتحدة من حوارات مع جماعات المقاومة العراقية أملاً في تخفيف حدة العمليات الأمنية في العراق، وهو الأمر الذي أعطى نتائج إيجابية وفق التقييم الأميركي.

الثالث: أن الحوار البريطاني مع حزب الله لا يبدو أنه سيكون بعيداً عن التطورات الهامة التي يشهدها لبنان أو سيشهدها قريباً، فالمحكمة الدولية حول مقتل رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري بدأت في مطلع شهر مارس الحالي، كما أن لبنان سيشهد خلال شهر يونيو من هذا العام انتخابات برلمانية ينتظر أن تجلب بعض التغيير للخريطة السياسية الداخلية اللبنانية. حزب الله يتحدث عن تحالف مع ميشيل عون واحتمالية تكوين تحالف عريض يعطي ما يسمى اليوم بالمعارضة اللبنانية أغلبية في مجلس النواب، وهو الأمر الذي ينظر له في نطاق الشرق الأوسط بل وخارج المنطقة بعين القلق.

الرابع: أن الظروف الإقليمية والتي تتحدث عن انفراجات محتملة في الساحة الفلسطينية بين التيارين الرئيسيين حماس وفتح، وكذلك «حالة الإدراك المتردد» من قبل كثير من اللاعبين لضرورة الانفتاح في العمل السياسي على كل القوى السياسية، كل ذلك يدفع بريطانيا للمضي بثقة في حوارها مع حزب الله. في هذا السياق هناك محاولة لفهم مدى تأثير إيران على القرار السياسي لقوى مثل حزب الله وحماس، وما إذا كانت تلك القوى تتمتع باستقلالية في قراراتها عن طهران، لأن التصور الموجود لدى عواصم غربية وأخرى إقليمية أن تلك المنظمات «منضوية تحت الجناح الإيراني».

من المؤكد أن هناك حراكاً سياسياً نشطاً في المنطقة أبرز ما يميزه الدبلوماسية الفاعلية القائمة على التفاوض، لكن لتتجح تلك الجهود ولتجنب المنطقة مزيداً من الصراع المسلح فإن من المهم أن يكون الحوار لنزع فتيل الأزمات وليس فقط لمحاولة تفكيك تحالفات قائمة أو خلق خريطة تحالفات جديدة.

mahjoob@mzweiri.com